

جاك فيرجيس والثورة الجزائرية 1956-1962

أ: مبارك عمار جامعة الجزائر 2

الملخص:

عندما اندلعت الثورة التحريرية في تشرين الثاني نوفمبر 1954 م كان رد فعل السلطات الفرنسية انكار طابعها الوطني والادعاء بأن الجزائريين هم فرنسيون، وبالتالي فإن أعمال المقاومة من قبلهم هي جرائم الحق العام الناتجة عن القمع القانوني، وكان القضاء العسكري هو المطبق وهو الاطار الذي حاولت الحكومة الفرنسية فرضه من أجل حل النزاع، وخلال ثلاث سنوات كان المدافعون الفرنسيون على السجناء الجزائريين يتجهون لقبول هذه القاعدة ولاسيما المحامي جاك فرجاس صديق الثورة الجزائرية. يمكن اليوم تتبع هذا المسار عبر وثائق التي أصبحت تحت المتناول أخيرا: تقارير للشرطة أو لجهة التحرير الوطني ومقالات صحافية بوضعها في أفقها الصحيح. من هذا المنطلق سنحلل تحليلا دقيقا هذه الوثائق المتعلقة بنضال جاكفيرجيسفي دفاعه عن مناضلي جبهة التحرير الوطني، وذلك من خلال المحاور التالية:

المحور الاول: وقوفه ضد المحاكم الفرنسية التي كانت التابعة للاستعمار (حالة المحاكم الفرنسية في محاكمة الجزائريين)

المحور الثاني: من أجل المجاهدة جميلة بوحيرد (محاكمتها)

المحور الاول: وقوفه ضد المحاكم الفرنسية التي كانت التابعة للاستعمار (حالة المحاكم الفرنسية في محاكمة الجزائريين)

أثناء المحاكمات المقامة ضد المكافحين الجزائريين كانت الوقائع منسوبة إليهم مرتبطة بشكل لا ينفصم بنزاع سياسي كانت السلطات الجمهورية لا تريد طرحه بالطبع كان ذلك من جانب هذه السلطات رهنا ولم يكن غريبا أن يتشقق التركيب القضائي المصنع لإخفاء النزاع السياسي الذي تفاقم أثناء معركة الجزائر عام 1957 م، إضافة للضغوطات المبذولة في اتجاهات مختلفة كما في حيزران/يونيو 1956 تزوج التسلسل الزمني للإعدام مع التسلسل الزمني للحرب، وكانت كل مرحلة في تعميق النزاع تترجم برفض طلب العفو في الدعاوي الجارية، وفي نظر الحكومة كان النص يستوجب التشدد غير أن في 04 شباط/فبراير 1957 وقع ثلاث وزراء "روبير لاكوست" و"موريس بورجس مونوري" و"فرانسوا ميتران"، قرارا بتشريع إجراءات دراسة طلب العفو، واعتبارا من ذلك الوقت حددت إدارة الدرك والقضاء العسكري في وزارة الدفاع مرجعا مركزيا للآراء الدوائر والوزارات المعنية قبل كتابة مذكرة مجملة للمجلس الأعلى للقضاء وأحدث الإجراء الجديد تأثيرا كبيرا للحالات السابقة وبفضل جهود الدوائر المختلفة نقصت المهلة القضائية كثيرا رغم العدد المتصاعد للقضايا ورد ذلك في تقرير وضع بعد سنة ونصف.¹

واستنتاجا من نص هذا القرار كانت 1957 م سنة اشداد الحرب وكذلك السنة التي أصبحت الإعدامات فيها الأكثر عددا ما يقارب مئة خلال هذه السنة وتبعها حوالي أربعين إعداما من كانون الثاني/يناير إلى أيار/مايو 1958. كانت الإعدامات تتم بقطع الرأس أو الرمي بالرصاص حسب تقرير العقيد "لونوار" الذي طرح تكاثرهما مشكلة تقنية: من الناحية التقنية خمسة إعدامات تشكل حد أقصى للنظر فيها، لكن الأقوال الأخيرة للمحكومين بالإعدام، وأغاني رفاقهم تحية لرحيلهم لم تكن مسموعة في فرنسا وفي العالم.²

1- جاك فرجيس وتلبيه لدعوة لجهة التحرير الوطني

إن جبهة التحرير الوطني ليست حزبا كبقية الأحزاب، وليست تنظيما سياسيا توفرت له الشرعية القانونية على النمط المؤلف القائم على التنافس بين هذه الأحزاب في المناسبات الانتخابية، فقد انبثقت عن الحركة السرية المسماة

¹ جاك فرجيس: جرائم الدولة (الكوميديا القضائية)، تع، حسين حيدر عويدات، للنشر والطباعة، بيروت (لبنان)، 2004، ص.209.

1 جاك فرجيس: مرجع السابق، ص.210.211..

باللجنة الثورية للوحدة والعمل، والمنبثقة بطريقة مباشرة عن العمل الثوري الذي انطلق في الفاتح من نوفمبر 1954، وبذلك يمكن القول كان ميلاد جبهة التحرير فجر الفاتح من نوفمبر 1954، في بداية الأمر على يد مجموعة صغيرة من المناضلين الذين رفضوا أسلوب النضال السياسي في ظل الشرعية الفرنسية وهي بذلك ليست تكتلا لأحزاب سياسية، بل هي جبهة لكل الجزائريين بحيث كان الانضمام يتم في مختلف التشكيلات السياسية بصفة فردية. وكانت تضم هذه الجبهة مجموعة من اللجنات والمؤتمرات مثل المؤتمر الوطني، ولجنة التنفيذ والتنسيق، إضافة إلى التنظيم العسكري، هكذا تغلغت وتوغلت لدى كافة الشعب في القرية والمدينة، وأصبحت للجبهة عدة مهام، أهمها الدفاع عن المسبلين والفدائيين الذين شاركوا في الثورة ومثالا على ذلك قضية المجاهدة "جميلة بوحيرد"¹.

كانت حالة المحاكم الفرنسية وقوانينها الظالمة مطبقة على الجزائريين ومناضليها آنذاك، ولكن بعد أن عاهد مسؤولي جبهة التحرير الوطني في الجزائر إلى المحامي "جاك فرجاس" للدفاع عن فتاة مهددة بالموت وطلبوا منه كسر الصمت وشكلت هذه القضية منعطفا جديدا فبدأ هذا المنعطف في يوليو 1957 م حيث فرضت عقوبة الإعدام عند انتهاء المحاكمة المسماة دعوى القنابل "جميلة بوحيرد" و"جميلة بوعزة" و"عبد الرحمان طالب" و"عبد الغاني فرشلي" كمسؤولين عن الاعتداءات المختلفة، وأحدثت محاكمتهم تأثيرها بسبب الإستراتيجية المقررة من قبل "جاك فرجيس" الذي رجع المحاكمة بالأحداث وأدى الفارق بين العمل الإرهابي وصورة فتاتين متهمتين إلى إثارة الفضول الصحافي. وقد رأى جاك فرجيس في هذا الأمر أنه لا بد من منع تنفيذ حكم الإعدام وعدم التصرف مثل المدافعين الآخرين طلب العفو للزبون استنادا لحجج لا تسيء لأحد، أما نحن فقد كان علينا ألا نطلب هذا العفو بل أن ننزعه في النهاية حملة توسط وطنية و دولية دون تنازل ومن هذا التوسط:

1- بث فيلم "جميلة بوحيرد" للمخرج المصري يوسف شاهين في الشرق كله.

2- الرسالة التي وجهها لنا الجنرال ديغول بعد تتلقي نص دفاعي الذي قدم له "جورج أرنو" واختار ورثته لنشر هذه الرسالة، وفي مايلي نصها كما وردت في مجموعته التي صدرت في منشورات بلون تحت عنوان مدونات ودفاتر².

وهكذا وبعد هذا التوسط تم أخيرا استبدال عقوبة الإعدام "الجميلة بوحيرد"، غير أن "جاك فرجيس" هذا الفتى الأوراسي /الأورواسيوي/. كان يمكن له أن يكون محاميا ذا التزام شيوعي يقبل مهمة الدفاع وفق القواعد المراعية لمهنته

¹فاضلي ادريس: حزب جبهة التحرير الوطني (عنوان ثورة ودليل دولة)، د.ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص.85.

²جاك فرجيس: جرائم الدولة (الكوميديا القضائية)، مرجع سابق، ص.213.

في قصور العدالة الفرنسية تلك التي لن تكن سوى المحاكم العسكرية الدائمة والمرافعة عن المناضلين الجزائريين بأقصى ما يمكن لصالح كل من زبائنه، وهو ما كان يشكل بحد ذاته برهان شجاعة نادرة أن "جاك فرجاس" لم يتوقف عن هذا الحد فلقد رفض خيار (دفاع التواطئ) الذي يهدف إلى تحقيق العقوبات الجنائية لموكليه ليضع بالتنسيق مع الفيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني استراتيجية جديدة للدفاع عن مناضلي القضية الوطنية الذين يتم تحويلهم في المحاكم ولقد كانت الميزة الرئيسية لما أسماه "جاك فرجاس" المحاكمة "القطيعة" هي القطع مع أصمت الذي ساد خلال مجريات القضايا السابقة هذا الخيار الذي كان يعني بكل بساطة تحويل المحاكم إلى منابر لإدانة النضال للإستدماري بكليته وتأكيد حق الأمة الجزائرية الذي لم يكل هؤلاء المستدمرون يوما على تهميشه في استقلالنا ضمن جبهة التحرير الوطني¹.

2- دوره في إنشاء هيئة دفاعية جماعية لجبهة التحرير الوطني :

ففي الأشهر الأولى من انطلاقة الصراع المسلح كتب على هارون مسؤول الدفاع في الإتحاد الفرنسي لجبهة التحرير الوطني وكان المناضلون المعتقلون يوجهون النداء إلى المدافعين عنهم من المحامين الفرنسيين من اليسار واليسار المتطرف لكن موضوع دفاع هؤلاء المحامين لم يكن يتوافق مع ماكانت تحدده المنظمة وكانوا يفرون من الوقوف في خط المواقف التي تقتضيها دعم الكفاح من أجل استقلال الجزائر. حينذاك رجع في هذا الشأن إلى الحزب الشيوعي الفرنسي وبدأت تتبلور فكرة تأسيس هيئة دفاعية جماعية ولدت هذه الهيئة رسميا في 19 أبريل 1959م وكانت مؤلفة من محامين جزائريين وفرنسيين، ومنذ نهاية 1959م صار بإمكان على هارون وضع ميزانية لهذا الدفاع الجديد ونجحت هذه الهيئة الدفاعية بجبهة التحرير الوطني في فرنسا في الإكثار من الحديث عنها لكنها أصبحت موضوعا لتهمك الصحافة اليمينية، وأصبحت الوحش الذي يجب قتله وضلت ثابتة في العمل بالاستمرار أمام المحاكم، وكان الاتهام يوجه للجزائريين بصفتهم فرنسيين حملوا السلاح ضد فرنسا وبالأمانة لواجبنا فقد دافعنا كزملاء في نقابات المحامين في باريس و"ليون" و"غرونوبل" ومرسيليا عن زبائننا على الأرض حتى التي يتم اختيارها من قبل الاتهام وقد أظهرنا للمحكمة أنها لا تستطيع في أن معا الاعتراف لجيش التحرير الوطني بصفة جيش أجنبي في حالة حرب مع فرنسا وأن ترفض لأعضاء

¹ جاك فرجيس، محاكمة الاستعمار، ترجمة الدكتور ميشال سطوف، عاصمة الثقافة العربية، منشورات ANEP، 2007، ص. 05.

هذا الجيش الجزائريين جنسيتهم الجزائرية، وكان على الدفاع أن يبرهن كذلك كيف وصلت القضية الرسمية على الصعيد القانوني إلى وحشية ملعونة بتناقضات أساسية.¹

أما السجناء الجزائريين هم أشقياء وينبغي بالتالي منحهم جميع الضمانات الشرعية الممنوحة لجميع الأشقياء وبشكل متساوي حينذاك يصبح القمع مستحيلا، و أما أن تطبق الحكومة الفرنسية على الجزائريين تشريعا استثنائيا عنصريا، لكنها بهذا ذاته تنكر أن القضية عملية بسيطة للشرطة موجهة ضد مواطنين وتؤسس عليها صلاحية محاكمها وإما أن تعترف السلطة التنفيذية والبرلمان بوجود نزاع مسلح في الجزائر وأن الجزائر لبيت فرنسا، وعليهما وبالتالي إبطال جميع النصوص الاستثنائية بدلا من توسيعها والاعتراف للسجناء الجزائريين بوضع المحاربين بدلا من معاملتهم بأقل من الحقوق العامة.

ومن هذا أعتبر "فرجيس" ومن معه غير مسؤولين في نظر زملائهم من اليسار واليسار المتطرف وعلى أنهم خونة متحولين إلى العدو في نظر زملائنا من اليمين، وكانوا يتعرضون لضربات بعض المسؤولين والدوائر.²

لم يكن ليفيد أي طريق للقمع في إيقاف هذا التسونامي الحقيقي الذي انصب يلطم المحاكم الفرنسية منذ عام 1959 م كما لم تستطع، لا تهديدات القتل واغتيال المحامي أمقران ولد عضوية أو عمليات الطرد من الجزائر وحجز الإداري واتهامه بالمساس بأمن الدولة، من أن يثنى حماس وإصرار هذه المفزة المتقدمة في معسكر العدو التي لم يكن لديها من سلاح سوى الكلمات "كلمات فريق محامي جبهة التحرير" ومن هنا إذا كانت الكلمات من فم "جاك فرجاس" تضرب بتلك الشدة التي تربك بوصلة القضاء الأكثر شراسة وتتوصل إلى هز مشاعر الشخصيات السياسية البعيدة عن التعاطف المجامل، كما هو حال الجنرال ديغول ونجح خاصة في تطيير جدار صمت وسائل الإعلام فليس هذا بداية بسبب كون "جاك فرجاس" خبيرا في أصول المحاكم أو لأنه يشترك بنفس القناعات المعادية للاستعمار مع الشعب الجزائري وجبهة التحرير الوطني.

فلقد فعله كثيرون أيضا بفعالية وحمية بل لأن مهنة المحاماة ولع النضال عند "جاك فرجاس" يرتعان في روح شاعرية تغذيها و تتجاوزها³، لم تكن هذه الإستراتيجية من فعل "جاك فرجاس" لوحده بل ثمرة جهد (فريق محامي

نفسه، ص. 215-216.¹

² جاك فرجيس: جرائم الدولة (الكوميديا القضائية)، مرجع سبق ذكره، ص. 215.216.

³ جاك فرجيس، محاكمة الاستعمار، مرجع سابق، ص. 215.

جبهة التحرير الوطني) الذي تم انصافه في عام 1959 م، غير أن "فرجاس" كان بالتأكيد المفكر المبتكر والمعلم الأكثر إبداعا للمشروع والوجه الإعلامي الأكثر بروزا فلقد كان أن وضع مبكرا منذ محاكمة "جميلة بوحيرد" عام 19م في الجزائر مقدمات وأصول استراتيجية المحاكمة القطعية هذه الاستراتيجية التي لم تتوقف عن التحقيق والتعزيز على طول حرب التحرير لتصل إلى قممتها التي تجسدت بمحاكمة /فرنسيس جانسون/ في سبتمبر 1960 م والتي تميزت خاصة بمرافعة "جاك فرجاس" والمحكمة هذه لم تخطئ التقدير حين منعت نشرها أو نشر خلاصاتها، "فجاك فرجاس" والشجاعة التي تميز بها و "معه فريق محامي جبهة التحرير الوطني فلقد نجحوا في مغامرهم الخطيرة بتحويل قاعات المحاكم الفرنسية المكلفة أصلا بخلق وتسطيع وتجريم أصوات الجزائر المكافحة إلى جبهة حقيقية من جبهات التحرير الوطني.

فمع "جاك فرجاس" كفت قاعات المحاكم عن أن تكون حلقات تابعة للدولة الإستدمارية الفرنسية لتصبح ساحات مواجهة يمثل فيها كل أشكال أو تشابك أثناء جلسة قنبلة وكل جدال إجرائي لغما وكل مرافعة غارة الكوموندوس تهتز لها وسائل الإعلام.

ومع جاك فرجيس أيضا يعود سلاح السخرية ليقول ضاحكا أو حنقا جموع المشاركين والمراقبين في هذه الدعاوى التي تشهد قبل كل شيء أن الحقيقة هي الفلاغة، فالأزدراء على شفثيه يفعل فعل سلاح التدمير الجماعي لحجج جهاز عدالة الدولة الإستدمارية الفرنسية، الذي اضطر للتراجع إلى موقع الدفاع قبل أن ينجر إلى هزيمة مخجلة بدأ من 1960 م¹.

المحور الثاني: من أجل المجاهدة جميلة بوحيرد (محاكماتها):

جميلة بوحيرد التي بدأت قصتها عندما انفجرت قنبلة موقوتة في مقهى جزائري بتاريخ 22 كانون الثاني يناير 1957، وما أن تلاشى الدخان حتى ظهر أن هناك أكثر من عشرين أوريبا قد أصيبوا بجراح، وانتهت ببعضهم إلى الموت وانفجرت قنابل أخرى في الأيام التالية عند ساحات الرياضة التي كانت مزدحمة بالمتفرجين التي أدت إلى مقتل أكثر من عشرين شخص، وجرح عدد كبير، وقد عهد بحراسة الأمن بالجزائر في تلك الأيام التابعين للجنرال (ماسو) وهؤلاء ليسو جنودا، ولكنهم من الشباب الصغار الذين جاءوا ليؤدوا خدمتهم، وقد ضرب المظليين بوحشية غير أنهم لم يتمكنوا من قمع ثورة المجاهدين سواء في مدن الجزائر الكبيرة أو في القواعد المحررة في السهول والجبال، وفي صباح أبريل 1957 اصطدمت دورية حربية أثناء ساعات منع التجول بثلاثة أشخاص مقنعين ملثمين بحج القصة داخل مدينة

¹ جاك فرجيس، محاكمة الاستعمار، مرجع سابق، ص. 216

قديمة في الجزائر العاصمة، فهرب هؤلاء الثلاثة لكن بعد أن طلقت الدورية عليهم نيرانها وارتفعت صرخت وبقيت واقعة على الأرض وكانت هذه المجاهدة "جميلة بوحيرد"، وقد عُثر معها وثائق ورسائل ومبلغ كبير ثمانمائة ألف فرنك وعدد من الأختام المختلفة التي تخص البلدية والولاية ووثائق تخص نشاط جبهة التحرير الوطني في مدينة الجزائر، فجميع هذه الوثائق التي كانت بحوزتها دلت على أن الفتاة كانت تعمل أمينة تسر سكريتييرة لقائد فدائي مدينة الجزائر "ياسف سعدي"¹.

وكانت تعمل مراسلة أيضا لنقل رسائله وتعليماته وأوامره ولم تسلم الأسيرة إلى الشرطة لكنها اقتيدت لصورة خاصة إلى مركز تحقيق المظليين وذلك أن دوريتهم عثرت في صباح اليوم ذاته على فرنسيكان يلفظ أنفاسه وقد ربط على شجرة، وأفاد أن عائلته كلها قتلت على أيدي الثوار، بعد أن أحرقوا بيتهم ومزرعتهم، أما "جميلة بوحيرد" فما حدث لها أمر يصعب وصفه إذ ضلت رغم جرحها النازف تحت التعذيب الوحشي²، فحسب ما أقرت به المجاهدة بوحيرد ذاتها:

"منذ وصولي إلى المستشفى خضعت إلى استنطاق من عدة أشخاص من بينهم ثلاث نقباء، وثلاثة مفتشي أمن وثلاثة مظليين بقاعة حمراء. ولم يكونوا يترددون بتوجيه اللكمات لي، لإجباري على الكلام، وذات يوم أقدم ملازم أول أبيض وطويل يضع نظارات بيضاء على تجريدي من ملابسي أمام ثلاث نقباء وثلاثة أفراد أمن ومظليين اثنين بالقاعة، وقام بملامسات مخلة بالحياء أمامهم، سيحبون لي سنيغاليا سبق له أن خدم على نساء مسلمات، وحين كنت أحاول دفعه بذارعي السليم كان يقابلني بالضرب على جرحي، مما كان يثير ضحك الآخرين. وفي ليلة 18/17 أفريل نحو التاسعة ليلا، حضر ثلاثة نقباء ومظليين اثنين لاصطحابي حيث وضعوني معصوبة العينين في سيارة سارت باتجاه مجهول ليتوقفوا في فيلا، أعتقد أنها ليست بعيدة عن مطار الدار البيضاء، إذ أنني كنت أسمع طول الليل صوت محركات الطائرات، وهنا وضعت في غرفة تعرضت للضرب ثم قاموا بتعريتي وربطي على مقعد وبوضع خرق ربطة تحت رباط المعصمين حول الذراعين وعلى البطن حول الفخضين والعقبين والساقين، حيث ثبتوا حينها النواقل الكهربائية في

¹ بسام عسلي: المجاهدة الجزائرية والإرهاب الاستعماري، د.ط، درا النفاس، بيروت، لبنان، د.ت، ص. 137.

* ياسف سعدي: ولد في 20 جانفي 1920 بالقصبة الجزائر، بدأ نشاطه السياسي مبكرا بالمشاركة في مظاهرات حزب الشعب الجزائري 1945، شارك مع جميلة بوحيرد وعلي لاوانت في عملية الكومندوس ومزال على قيد الحياة لمزيد من المعلومات أنظر (ياسف سعدي: ذكريات معركة الجزائر، دار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص. 9).

² بسام عسلي، المجاهدة الجزائرية والإرهاب الاستعماري، مرجع سابق، ص. 138.

المنطقة الجنسية والأذنين والفم وفي داخل اليدين وأطراف الثديين وعلى الجبهة ،لأنتهي قرابة الثالثة صباحا في حالة اغماء وهذيان وتعرضت للضرب مجددا يوم 18 أفريل ،ثم وضعوا سلكا معدنيا حول ابحام القدم ليمرروا التيار الكهربائي ،استمر التعذيب يوم 19 وتفتق جرح صدري فاغرا ،وفي يوم 21 نوفمبر تم اقتيادي إلى موقع الرئيسي للكتيبة في الأبيار "،هناك كان على المجاهدة "جميلة بوحيرد" أن تجد أخاها الصغير "حمادي" 11 سنة مع أخو "ياسف" وابن أخيه "موكلي" ذات 14 سنة ،حيث استنطقوا جميعا حول عنوان الأخ أو العم والزعيم والصديق ،ذلك العنوان الذي يجعله الجميع باستثناء "جميلة بوحيرد" وهكذا كانوا يضغطون عليها كي تتكلم لأنها الوحيدة التي تعرفه إلا أنها لا تفصح عن شيء و "ياسف" من جهته مازال حرا¹.

وبعد هذه المرحلة انتقلت المجاهدة ج"ميلة بوحيرد" لسجن "باريدوس" أشهر مؤسسات التعذيب في العصر الحديث وبدأت نوبات أخرى من التعذيب الأشد قسوة وضراوة ،واستمرت احدى جلساتها إلى 18 ساعة تعذيب متواصلة حتى أن جسدها الضعيف لم يتحمل ذلك فأغشى عليها وأصيبت بالهذيان وبعد تلك النوبات الشديدة من التعذيب بدأ السماح لها بوجود تحقيق رسمي ،وقد بدأت محاكمة المجاهدة "جميلة بوحيرد" في 11 يوليو 1957 بعد انتهاء التحقيق معها ،وبعد أن رفض العديد من المحامين الفرنسيين الإشتراك في الدفاع عنها .لكن ارادة الشعب كانت أقوى ولم تستطيع قوات الاحتلال الفرنسية آنذاك تنفيذ حكم الإعدام².

الأمر الذي جعل جبهة التحرير الجزائرية يتصلون بمجموعة من المحامين من بينهم الفرنسيون المساندون للثورة الجزائرية والمنتقدون للسياسة الاستعمارية ،للدفاع عن قضيتهم ومناضليهم المعتقلين في سجون الاحتلال الفرنسي ،لمع نجم "جاك فرجيس" في قضية الفدائية "جميلة" ،خاصة بعد إصدار نص محاكمتها برفقة صديقه الكاتب "جورج آرنو" (1917_1987) ضمن كتابه الشهير "من أجل جميلة" ،وثق فيه التقارير الطبية الفرنسية "جنين بلخوجة" التي

¹ جاك فرجيس ،محاكمة الاستعمار ،مرجع سبق ذكره ،ص.33.

² مجلة الحدث العربي و الدولي، عدد خاص حول الثورة الجزائرية: الجذور ، التفاصيل، الابطاب و الافاق التي لم تنغلق ،ع.24، 2002.

* جميلة بوعزة :ولدت في 1938 ترعرعت في الجزائر ،درست الغناء والموسيقى قبل إنخراطها في الثورة ،قامت بالعمل السياسي مع صديقتها المجاهدة جميلة بوحيرد ،قامت بعدة مهام أهمها وضع قبلة في مقهى كوك هاردي في 27 جانفي 1957، لمزيد من المعلومات أنظر (عبد الكريم بوصفصاف، جهاد المرأة الجزائرية وتضحياتها الكبرى 1954، 1962، المنظمة الوطنية للمجاهدين ،مطبعة قرشي، باتنة ،ص.91).

أشرفت على علاجها في سجنها، تثبت ماتعرضت له المناضلة الجزائرية من تعذيب جسدي وجنسي ونفسي، وبعد صدور حكم الاعدام عليها ورفيقاتها من بينهم المجاهدة "جميلة بوعزة"¹ في 15 تموز (يوليو) 1957.

حضر التحقيق مع المجاهدة "جميلة بوحيرد" المحامي الفرنسي "مسيو فرجيس" الذي قال "لجمية" بمجرد توليه الدفاع عنها "لست وحدك" فكل شرفاء العالم معك، كما رفض القاضي المشرف على التحقيق بمنحه ساعة واحدة للجلوس معها والاطلاع على ملابسات القضية، ولم يستجيب القاضي إلا بعد أن هدد "مسيو فرجيس" بالانسحاب من القضية، وأيدته المناضلة "بوحيرد" التهديد، حيث أكدت أنها لن تجيب عن أي أسئلة إلا في وجود محاميها، واستمر التحقيق مع جميلة نحو شهر، لتأتي جلسة المحاكمة الأولى مجرد سجل عقيم ومناقشات بين المحكمة والمناضلة "جميلة بوحيرد" وزميلتها "المجاهدة بوعزة"، وجهت فيها المحكمة الاتهامات لهما ما أجبر "بوعزة" على الإقرار بأن "جميلة بوحيرد" هي التي حرصتها على القاء القنبلة بتاريخ 09 نوفمبر 1956 في برميل قمامة في شارع ميشلي²، لكن الغريب أن "بوعزة" كانت تتحدث عال وغير طبيعي وتصرخ وتقول: "إني عاهرة"، وتصوب إصبعها نحو الحضور كالبندقية وتحركه ذات اليمين والشمال³، وكأنها أجبرت على ذلك الاعتراف نتيجة لما تعرضت له من تعذيب داخل سجون قوات الاحتلال الفرنسي، لكن الأداء غير طبيعي "لبوعزة" دعا المحامي الفرنسي "مسيو فرجيس" إلى تقديم طلب للمحكمة لعرض "بوعزة" على طبيب أمراض عقلية للكشف على مدى الصدمات التي تعرضت لها أثناء التحقيق، لكن المحكمة رفضت طلب المحامي "فرجيس" الذي استمر في الدفاع عن "جميلة بوحيرد" و"جميلة بوعزة" وظلت المحكمة متشددة ومنحازة ما دفعه إلى إبلاغ المحكمة بأن احترامه للعدالة لنفسه يضطره إلى الانسحاب وإبلاغ نقيبهما بذلك في باريس، فالمحكمة كانت متواطئة وترفض طلبات الدفاع. وفي اليوم الثالث استجوبت المحكمة المناضلين "جميلة بوحيرد" و"جميلة بوعزة" كما استمعت إلى الشهود وإلى ثلاثة من الأطباء المتخصصين في الأمراض العقلية والنفسية بشأن الوقوف على الحالة العقلية لـ "بوعزة" والذين رفضوا الإفصاح عن حالتها بحجة سر المهنة⁴، وهكذا كانت نتيجة تأجيل تنفيذ حكم الاعدام وفي عام 1958 نقلت "جميلة بوحيرد" إلى سجن "ريمس" وتمر أيام قليلة ويتقهقر الاستعمار الفرنسي وبشكل غير متوقع يعلن السفاح (لاكوست) أنه طلب من الرئيس جمهورية فرنسا وقتئذ العفو عن جميلة وفي تبجح كان يقول

¹ قناة كنال الفرنسية، فيلم وثائقي، سبتمبر 2016، فرنسا.

² جاك فرجيس: ت. ج.، ميشال سطوف، مصدر سابق، ص. 29.

³ شريط أحمد شريط: جميلة بوحيرد، المؤسسة الوطنية للفنون الطبعية، الجزائر، 2013، ص. 426.

⁴ قصي صالح الدرويش: أجمل أيام حياتي يوم حكم علي بالاعدام، مجلة الحدث العربي و الدولي، ع. 24، مرجع سبق ذكره.

"ما من امرأة أعدمتم على أرض فرنسا منذ خمسين عاما"، وبالفعل لم يتم إعدام المجاهدة "جميلة بوحيرد" تبعا لحكم المحكمة الظالمة فقد تم تخفيف حكم الإعدام إلى أشغال شاقة بينما استمر التعذيب داخل السجون وبقيت جميلة في السجن خمس سنوات¹.

ولم يتوقف دور "فرجيس" عن هذا بل ساهم هو ونظرائه من أحرار فرنسا بينهم المثقفون والفنانون والشيوعيين في تأجيج شعوب العالم ضد فرنسا الاستعمارية خاصة بعد كشفه وتدوينه لشهادات الآلاف من مناضلي الثورة الجزائرية في السجون والمعتقلات وأماكن التعذيب السرية في مجلة "الأزمة المعاصرة"، كما قاد "جاك فرجيس" حملة إعلامية لتعريف العالم بقضية المناضلة "جميلة بوحيرد"، من خلال هذه القضية فرصة عظيمة تؤهله للحصول على قضايا مماثلة، فقد اكتسب من خلال حملته الشهيرة العالمية وخاصة أنه كان يؤمن بقضية بوحيرد وأنها كانت تحاكم أمام محكمة غير عادلة وجائرة وكل ما أردته فقط أن تعدم المجاهدة "جميلة بوحيرد"، لتسكت من خلالها أفواه المناضلين الذين يتجرأون على طلب الحرية والاستقلال لوطنهم، لكن "فرجيس" كان يؤمن بعدالة قضيتها وبحقها في الحصول على محاكمة عادلة، وكانت نتيجة الحملة اطلاع العالم على ما يحدث من تعذيب في السجون الجزائرية للمناضلين والتعذيب الوحشي الذي لا يتحملة انسان والذي تعرضت له "جميلة بوحيرد" من قبل قوات الاحتلال الفرنسية داخل السجن وأيضا عدم حصولها على تحقيقات ومحاكمة فقد ثار المحامون العرب والشعوب العربية والعالم مطالبين بمحاكمة عادلة لجميلة وتم ارسال برقيات للحكومة الفرنسية مباشرة للمطالبة بمحاكمة عادلة لجميلة وكان نتيجة ذلك الضغط الكبير الذي مارسه الرأي العام العالمي تأييدا لقضية جميلة وإجبار الفرنسيين على تأجيل تنفيذ حكم الإعدام².

هذه القضية فرصة عظيمة تؤهله للحصول على قضايا مماثلة، فقد اكتسب من خلال حملته الشهيرة العالمية وخاصة أنه كان يؤمن بقضية بوحيرد وأنها كانت تحاكم أمام محكمة غير عادلة وجائرة وكل ما أردته فقط أن تعدم المجاهدة "جميلة بوحيرد"، لتسكت من خلالها أفواه المناضلين الذين يتجرأون على طلب الحرية والاستقلال لوطنهم، لكن "فرجيس" كان يؤمن بعدالة قضيتها وبحقها في الحصول على محاكمة عادلة، وكانت نتيجة الحملة اطلاع العالم على ما يحدث من تعذيب في السجون الجزائرية للمناضلين والتعذيب الوحشي الذي لا يتحملة انسان والذي تعرضت له "جميلة بوحيرد" من قبل قوات الاحتلال الفرنسية داخل السجن وأيضا عدم حصولها على تحقيقات ومحاكمة فقد ثار المحامون العرب والشعوب العربية والعالم مطالبين بمحاكمة عادلة لجميلة وتم ارسال برقيات للحكومة الفرنسية مباشرة

¹ رشيد ولد بوساكة: جمايلات الجزائر بعشرين أروع الأسئلة، جريدة البلاد، ع.94.95، 18 أكتوبر 2001، ص.05.

² مجلة الحدث العربي و الدولي، ع.24، مرجع سبق ذكره.

للمطالبة بمحاكمة عادلة لجميلة وكان نتيجة ذلك الضغط الكبير الذي مارسه الرأي العام العالمي تأييدا لقضية جميلة وإجبار الفرنسيين على تأجيل تنفيذ حكم الإعدام¹.

حيث عمت مظاهرات حاشدة في أشهر مدن العالم رافعة شعارات منادية باستقلال الجزائر ومطالبة بالعفو عن "جميلة بوحيرد" ووصل صدى القضية إلى منظمات حقوق الإنسان والهيئات الدولية في مقدمتها الأمم المتحدة في 05 مارس 1958².

وفي ماي عام 1962 م وقعت الجزائر وفرنسا اتفاقية "إيفيان" وإعلان عن الاستقلال الجزائر ومع تقدم سير المفاوضات تم إطلاق سراح الأسرى الجزائريين تدريجيا وكان من ضمنهم المجاهدة "جميلة بوحيرد" التي تزوجت بمحاميتها الشهير الذي أصبحت قصة وقوعه في غرامها حدث في تاريخ أكثر الثورات الإنسانية.

وكانت قضية جميلة بوحيرد وحسب ما رددته صحيفة "لوموند" في كتابه أن الأمر الأكثر أهمية وهي القضية الهامة والبارزة في المحكمة العسكرية في الجزائر، ونسبت الصحفية لجميلة بوحيرد "تأثيرا أخلاقيا جعلها روح الإرهاب" وباش فرجيس في جعلها رمزا لضحايا القمع، والفتاة الشابة التي جرحت عند اعتقالها ثم تعرضت للتعذيب ومن جهة أخرى ساهم في اسماع ونقل صور الجزائريين وإعطاء نظرة عليهم لحالتهم لكل أقطار العالم من أجل المساندة والوقوف أمام القضية الجزائرية التي كانت تحت العدالة الزائفة والتي قادها الاستعمار الإستعماري³.

في جو مهيب عجب بأصحاب البدلات السوداء بكنيصة "سانت توماس" وسط العاصمة الفرنسية بباريس إثر وفاة المحامي "جاك فرجيس"، الذي توفي يوم الخميس 15 أوت 2013 م بسكتة قلبية من عمر ناهز 88 سنة خلفا وراءه مسارا نضاليا وقضائيا عاصفا فروحه الاستفزازية وشخصيته الإشكالية جعلته سفاح المرافعات، كما لقب نفسه في العرض الذي أدى بطولته عام 2008 م لكنه لم يكتف بمسرحية مرافعاته القضائية بل جعل حياته مليئة بالتناقضات.

جمعت جنازته شخصيات متباينة التوجهات السياسية والفكرية من اليمين المتطرف إلى أقصى اليسار، بل وحضر العديد من المثقفين والحقوقيين من مختلف الجنسيات من بينهم أصدقاؤه المدينون له بفضل الدفاع عنهم أو عن ذويهم بل أن معارضيهِ ومنتقديه حضروا كلهم لتوديع من كان يعرف بمحامى الشيطان إلى مثواه الأخير، ومن بين هؤلاء وزير

¹ مجلة الحدث العربي و الدولي، ع.24، مرجع سبق ذكره.

² جورج آرنو و جاك فرجيس: دفاع حول جميلة بوحيرد، ط.3، دار العلم العالمي، بيروت، 1958، ص.95.

³ جاك فرجيس: جرائم الدولة (والكوميديا القضائية)، مرجع سبق ذكره، ص.212.

الخارجية الأسبق الاشتراكي "رولان دوما" واليميني "فريدريك شاتيون" والفنان المثير للجدل "ديو دوني" وغيرهم ويتقدّمهم شقيقه التوأم ورئيس الحزب الشيوعي في جزيرة "لارينيون" الفرنسية بول فرجيه كما ألفت رفيقته "ماري كرستين دوسولاج" كلمة تناولت فيها ملامح إنسانية من حياتهما معا لفترة طويلة وجوانب من سيرته النضالية في سبيل أصعب القضايا، والغائبة الأولى عن جنازته زوجة "فرجيس" السابقة المناضلة الجزائرية "جميلة بوحيرد" التي انفصلت عنه مطلع السبعينات فيما حضر ابنيهما "إلياس ومريم" لتلقي التعازي وتسائل الجميع عن أسباب العزوف التي وصفها "فرجيس" بأنها وجه الثورة الجزائرية عن حضور جنازته، حيث أكد البعض أن غياب أيقونة الثورة الجزائرية سببه تدهور حياتها الصحية في الفترة الأخيرة، بينما رجح البعض أن علاقتهما منقطعة تماما. أما حضور الجزائريين اقتصر على وزيرة الثقافة الجزائرية "خليدة تومي" ونائبة مجلس الأمة والمجاهدة "زهرة ظريف"، بينما تعالت الزغاريد من بعض الجزائريات مودعات بطريقتهن أحد المناضلين في سبيل استقلال بلادهم، لينطلق بعدها الموكب الجنائزي نحو مقبرة "مونبارناس" الشهيرة.¹

لقد كانا كغير جيسمن الأسماء الأولوالأساسية التي تندد بتوبكلو وضوحا للحرب الفرنسية ضد الوطنيين الجزائريين، وقد دأبهمجّة الحربا لشراسة الاعادلة التي كانت تشنّها القوات الفرنسية الاستعمارية ضد جبهة التحرير الوطني، وكذا التعديا لهمجيا الذي كان يتعرض لهمناضلو جبهة التحرير الوطني سواء في الجزائر أو فرنسا، واتضح ذلك من خلال الدفاع الشرس في جلسات قاعة المحاكمات لرموز جبهة التحرير الوطني، وكان فير جيسعلبر أسقائمة موقعي (بيان 121)، الذي دعا العسكريين الفرنسيين إلى العصيان وعدم الذهاب إلى الحرب في الجزائر.

قائمة البليوغرافيا:

I. الكتب

- (1) أدهم عدين: المواد الاجتماعية، د.ط، منشورات مكتبة الوحدة العربية، دار البيضاء، د.ت.
- (2) بسام عسلي: المجاهدة الجزائرية والإرهاب الاستعماري، د.ط، دار النفاس، بيروت، لبنان
- (3) جاك فرجيس: جرائم الدولة الكوميديا الفضائية، تعريب حسين حيدر، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت لبنان 2004
- (4) جاك فرجيس: محاكمة الاستعمار، ترجمة ميشال سطوف، عاصمة الثقافة العربية، المنشورات، ANEP
- (5) حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، د.ط، دار المعرفة، الجزائر، 2007

المرجع نفسه، ص: 212.¹

(6) رشيد خطاب : أصدقاء الخاوة الدعم العالمي للثورة التحريرية الوطنية ، ترجمة مصطفى ماضي ، دار الخطاب 2012،

(7) زبير رشيد : موقف أحزاب اليسار الفرنسية من القضية الجزائرية، د.ط ، د.ت

(8) عبد الكريم بوصفصاف : جهاد المرأة الجزائرية في ولاية سطيف 1962/1954 ، د.ط ، د.ت.

(9) عبد المجيد عمراني : جان بول سارتر و الثورة الجزائرية ، أستاذ محاضرة بجامعة باتنة الجزائر ، مكتبة المديولي.

(10) شريط أحمد شريط : جميلة بوحيرد ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للجزائر ، د.ط ، د.ت

II.المجلات:

(1) المجلة الاتحاد الاشتراكي ، يوسف هاني ، المحامي الفرنسي جاك فرجيس في مسرحية على خشبة المسرح بالدار البيضاء ، د.ع

(2) مجلة سيدتي : دبي سيدتي نت ، الاثنين 19 أوت 2013

(3) مجلة الحدث العربي و الدولي : الثورة الجزائرية : الجذور والتفاصيل و الأبطال و الافاق التي تنغلق ، العدد 234 2002،

القرآن الكريم وحضوره في الإعلام الديني بين الواقع والمأمول

دراسة وصفية تحليلية للمضامين القرآنية على القنوات التلفزيونية الإسلامية